

جوانب من حضارة ما قبل التاريخ بالحوض العلوي لواد صياد¹ من خلال العربات المنقوشة

ليتوس الحسين

طالب باحث في سلك الدكتوراه
جامعة محمد الخامس، الرباط

مقدمة

اعتمد الإنسان خلال بداية عصور ما قبل التاريخ على قدميه للتنقل بين المناطق، فبدأ يقطع مئات الكيلومترات مشياً على الأقدام سائراً في اتجاهات مختلفة، بحثاً عن الغذاء والمناطق الأكثر ملائمة للاستقرار. إلى أن تمكن من تطوير الحيوانات، فجعلها وسيلة للتنقل فركب على ظهور الأبقار، طيلة العصر الحجري الحديث. وقد إتضح ذلك في العديد من المشاهد الممثلة في مواقع النقوش والرسوم الصخرية. وساهمت التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، التي عرفتها البشرية خلال نهاية العصر الحجري الحديث وبداية عصر المعادن، في اكتشاف وسيلة جديدة للنقل وهي العربات. واعتبر هذا الاكتشاف بمثابة قفزة حضارية جديدة في تاريخ الحضارات القديمة²، حيث بفضلها صار الإنسان يتحرك بكل سهولة داخل فضاءات شاسعة، نتج عنه نسج علاقات تفاعلية جديدة مع مجموعات بشرية أخرى مختلفة. لقد استطاع إنسان ما قبل التاريخ التعبير عن هذا التحول الثقافي من خلال الفن الصخري، حيث رسم ونقش موضوع العربات في العديد من اللوحات الصخرية وبوضعية مختلفة. ويمكن ملاحظة ذلك في غالبية مواقع النقوش الصخرية في شمال أفريقيا وبشكل خاص المناطق الجنوبية والشرقية للمغرب التي تزخر بالعديد من مواقع الفن الصخري.

سنحاول في هذه الدراسة تناول موضوع العربات من خلال هذا الفن وذلك بالوقوف على ما أنجز حولها من دراسات في شمال أفريقيا والمغرب، مع التركيز على دراسة العربات المنقوشة في منطقة وادي صياد بحوض وادي نون. وذلك

¹- الحوض العلوي لواد صياد مجال جغرافي شاسع، يمتد من منطقة تگجگالت إلى خنك فاصك. ويشمل العديد من الواحات التي توجد على ضفاف وروافد واد صياد "أسييف أنگمار" وتنتمي إدارياً إلى إقليم كلميم مثل: واحة أمتضي، أداي أيت حربيل، تينزرت، تغيجت، إفران الأطلس الصغير وتيمولاي، إغرم إيگزولن... وغيرها. (أنظر الخريطة رقم 1)

²- المحفوظ اسمهر، جوانب من حضارة شمال أفريقيا القديم والصحراء من خلال النقوش والرسوم الصخرية، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ القديم، كلية الآداب بالرباط، 2003-2004، ص: 203.

بالإجابة على التساؤلات الآتية : ما أصل هذه العربية في شمال إفريقيا، هل هي محلية أم دخيلة ؟ ما هي المواد التي صنعت منها هذه العربات، هل هي خشبية أم معدنية؟ وما هي الأدوار التي كانت تقوم بها؟ وماذا عن دور الحوض العلوي لواد صياد في المساهمة في حضارة ما قبيل التاريخ؟

1. أصل العربية في شمال إفريقيا :

حاول العديد من الباحثين ربط عربات شمال إفريقيا بالأصل الخارجي، فهناك من جعل أصلها بلاد مصر أمثال غابرييل كامبس (Gabriel Camps) الذي يعد من أشد المدافعين عن الأصل المصري للعربية في شمال إفريقيا.³ وهناك من ربط ظهورها بقدوم الفينيقيين أمثال الباحث موني (Mauny)⁴، كما دافع البعض الآخر عن أصلها الأوربي الإغريقي مثل هنري لوط⁵ (Henri Lhote) وسبرويت (Spruytte) وغيرهما. لكن بعد تحليل مكونات العربية الشمال إفريقية وتفكيك أجزائها تبين وجود اختلاف كبير بينها وبين العربات الأوربية والآسيوية.⁶

ففي ما يتعلق بالعربات المصرية، لوحظ اختلاف بينها وبين عربات شمال إفريقيا في عدد الحيوانات التي تجرها، حيث تبين وجود عربات تجرها ثلاثة حيوانات أو أربعة في اللوحات الصخرية الصحراوية، وهذا الأمر لا نجده في الإيكونوغرافيا المصرية⁷. كما تختلف الطريقة التي يستعملها سكان شمال إفريقيا للتحكم في الحيوانات التي تجر العربات عن مثيلاتها المصرية⁸. ويتجلى هذا الاختلاف في الأدوات المستعملة لهذا الغرض، ففي مصر مثلاً كانت تستعمل في عملية قرن الحيوان عدة أدوات: كالحزام، وللب الصدر أو صدار الرجل وحزام العنق، في حين استعمل سكان شمال إفريقيا فقط المقرن الذي يوضع تحت رقبة

³-G.Camps, Le cheval et le char dans la Préhistoire nord-africaine et saharienne, in Les chars préhistoriques du Sahara, Aix-en-Provence, 1982, p. 9-22.

-G.Camps, Les Berbères Mémoire Et Identité, Actes Sud, Collection Babel, 2007, P : 74.

⁴-R.Mauny, Une route préhistorique à travers le Sahara Occidental. de Raymond. Périodique: Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire, vol.9, 1947, P :351.

⁵-H.Lhote, Le cheval et le chameau dans les peintures et gravures rupestres du Sahara, 1953, P : 1138-1228.

⁶-خصص الباحث المحفوظ اسمهر قسماً كبيراً من أطروحته الجامعية لموضوع العربات في شمال إفريقيا، تطرق فيه لهذا النقاش. أنظر (المحفوظ اسمهر، جوانب من حضارة شمال إفريقيا القديم والصحراء...، 2003-2004، ص203-249).

⁷-J.Spruytte, Attelages antiques libyens, archéologie saharienne expérimentale, Paris, 1996, P : 113

⁸-H.Lhote, Les chars rupestres sahariens: des Syrtes au Niger, par le pays des Garamantes et des Atlantes, Editions des Hespérides, Toulouse, 1982, P : 75.

الدابة لربطها بالعربة⁹. وفي ما يخص العجلات، أشار هنري لوط، إلى وجود اختلاف بين عجلات العربات الشمالية إفريقية ذات الدواليب والعجلة المصرية القديمة¹⁰. كل هذه الأدلة دفعت بالعديد من الباحثين إلى التحفظ عن الأصل المصري للعربة في شمال إفريقيا كالباحث ألفريد موزوليني (Muzzolini Alfred)، والمحفوظ اسمهم، ونابي ألسندرا (Nabbi Alessandra) وغيرهم¹¹.

اعتمد الباحث هنري لوط على أحداث الحملة التي نظمتها شعوب البحر (غالبيتهم إيجيين) وحلفائهم الليبويين ضد المصريين، في إسناد أصل العربات في شمال إفريقيا إلى شعوب الإيجي¹². وقد اعتبر لوط فشل شعوب البحر في حملتهم على مصر، سببا في استقرارهم في القورنانية فاختلطوا مع حلفائهم الليبويين¹³، ولذلك اقتبس منهم الليبويين العرب وانتشرت في بلادهم¹⁴. لقيت فكرة لوط معارضة كبيرة من طرف العديد من الباحثين؛ كالمحفوظ اسمهم الذي اعتبر الأحداث التاريخية التي اعتمد عليها لوط، لإثبات الأصل الإيجي والإغريقي للعربة الليبوية القديمة دليلا غير كاف، لكون النصوص المصرية لم تنسب العربات المستعملة في هذه الحرب لأي طرف¹⁵. كما أشار إلى وجود تشابه بين العربات الليبوية والمصرية، وهذا يتناقض مع نظريته حول الأصل الإيجي للعربة الليبوية¹⁶. كما بين توركا (Turcat) أن شعوب البحر، أي الإيجيين، ربما لم يلعبوا أي دور في انتشار العربات التي تجرها الخيول لسبب رئيسي، وهو أنهم لا يملكونها¹⁷. وبخصوص نظرية الأصل الفينيقي فيعد الباحث موني من أبرز المدافعين عنها، لكن غابرييل كامبس استبعد أي دور للفينيقيين في هذا الموضوع، لأن نقل العربات من الشرق إلى شمال إفريقيا يتطلب مسيرة بحرية طويلة¹⁸.

يتضح مما سبق أن أصل العربات في شمال إفريقيا أثار نقاشا كبيرا بين تيارين: الأول حاول ربط أصلها بالخارج، واعتبر شعوب شمال إفريقيا غير متطورة ولم تصل إلى مستوى التطور الذي وصلت إليه الحضارات الشرقية وحضارات شمال البحر الأبيض المتوسط. وهذا أمر فيه نظر، لأن تطور الدراسات التاريخية والأثرية، بينت أن ساكنة شمال إفريقيا عاشت تطورات ثقافية واجتماعية

⁹-المحفوظ اسمهم، جوانب من حضارة شمال إفريقيا القديم والصحراء...، 2003-2004، ص: 215.

¹⁰-H.Lhote, Les chars rupestres sahariens..., 1982, P : 73-74.

¹¹-المحفوظ اسمهم، نفس المرجع، ص: 164.

¹²-المحفوظ اسمهم، نفس المرجع، ص: 164.

¹³-هنري لوت، لوحات تاسيلي: قصة كهوف الصحراء الكبرى قبل التاريخ، تعريب أنيس زكي حسن، الطبعة الأولى، ليبيا، 1967، ص: 128.

¹⁴- H.Lhote, Le cheval et le chameau..., 1953, P : 1153.

¹⁵-المحفوظ اسمهم، نفس المرجع، ص: 166.

¹⁶-المحفوظ اسمهم، نفس المرجع، ص: 167.

¹⁷-A.Turcat, Sur l'origine des chars rupestres sahariens, in T.I.A.P, XXVI, Université Toulouse-le Mirail, 1984, P : 142.

¹⁸-المحفوظ اسمهم، نفس المرجع، ص: 169.

واقتصادية كباقي شعوب العالم. أما التيار الثاني، فقد دافع باستماتة عن الأصل المحلي للعربة، رافضا تقزيم دور شعوب شمال إفريقيا في بناء الحضارة الإنسانية بهذا المجال. كما رفض أن تكون العربة الشمال إفريقية مجلوبة من الخارج، مستندين في ذلك إلى غياب وسائل النقل خلال تلك الفترات التاريخية، لحمل تلك العربات لمسافات طويلة على مستوى البحر. لكن هذا التيار تناسى عن قصد أو غير قصد أنه من الممكن أن تنتقل فكرة صناعة هذا العربة من منطقة إلى أخرى، يكفي فقط أن تتوفر المواد الأولية لصناعتها. وبالتالي فإنه من الصعب الحسم في تحديد أصل العربة في شمال إفريقيا، في ظل غياب بقايا مادية من هذه العربات يمكن تأريخها باستعمال التقنيات الحديثة.

2. مكونات العربة في شمال إفريقيا من خلال النقوش الصخرية :

كان للفن الصخري دور كبير في إبراز مميزات عربات فترة ما قبل التاريخ، في ظل غياب معطيات تاريخية وأثرية مادية حول خصائصها بشمال إفريقيا. وهذا ما أشار إليه المحفوظ اسمهر حين قال: «تعتبر النقوش والرسوم الصخرية أهم وثيقة، إن لم نقل الوحيدة لحد الآن، التي تسمح لنا بالقيام بدراسة مفصلة حول العربة الأمازيغية القديمة بكل أجزائها ومكوناتها»¹⁹. وتنقسم العربات في شمال إفريقيا إلى نوعين: العربات الاختزالية (chars schématiques) تم تجسيد هذا النوع غالبا في النقوش الصخرية، وتنتشر بشكل كبير في الأطلس الكبير والجنوب المغربي حتى صحراء موريتانيا، كما تتركز كذلك في الأطلس الصحراوي الجزائري. أما النوع الثاني يدعى عربات الجري الطائر (chars au glop volant) ودائما ما تكون في الرسوم الصخرية، وتوجد بكثرة في موقع تاسيلي نجار وأكاكوس والهگار²⁰. ويتجلى الاختلاف بين هاتين العريبتين في كون عربة الجري السريع ترتبط بالأحصنة، والعربات الاختزالية تبقى منفردة وغير مرتبطة بالأحصنة²¹. لكن لوحظ وجود بعض هذه العربات المختزلة في الجنوب المغربي يرتبط ببعض الحيوانات من البقر، وقد سجلت هذه الوضعية في لوحتين بمنطقة تغجيجت²².

ومن الناحية الشكلية فالعربات في شمال إفريقيا تتكون من: المقرن (joug)، المجر (timon)، وعجلتين مرتبطتين بمحور (essieu) ومصطبة (plate-forme)، وفي حالات استثنائية يكون هناك حاجز وحامل الرماح²³. وحسب ألان رودريغ (Alain Rodrigue)، فالعربة المنقوشة في الجنوب المغربي تتكون من

¹⁹-المحفوظ اسمهر، نفس المرجع أعلاه، ص: 204.

²⁰-المحفوظ اسمهر، نفس المرجع السابق، ص: 205.

²¹-A.Rodrigue, Images gravées du Maroc, Kalimat Babel, Témara, 2006, p 166.

²²-Ibid, P : 169.

²³-G.Camps, Les chars sahariens, 1989, p.26.

-A.Rodrigue, Image gravées du maroc..., 2006, P : 163.

عجلتين مسطحتين، والمصطبة الموضوعة على المحور أقل تفصيلا، تتخذ شكلا مستديرا أو مستطيلا باتجاه المجر، هذا المجر البسيط ينتهي على شكل حرف T أو حرف Y أو حرف U²⁴.

وشكلت المواد التي صنعت منها هذه العربات مجالا للنقاش بين الباحثين أيضا، فهناك من رأى بأن العربة لا يمكن أن تصنع إلا بوجود المعادن، خصوصا عجالاتها التي لا تقدر على تحمل قوة الاصطدام مع الحجارة. ومن بين المدافعين عن هذه الفكرة نجد كل من الباحث هوغو (Hugo) وهنري لوط وگابرييل كامبس²⁵. في حين انتقد كل من سيرويت وگاست هذه الفكرة، واعتبروا جميع العربات القديمة بما فيها عربات شمال إفريقيا كانت تصنع من الخشب والجلد²⁶، وفي هذا الصدد قال گاست: «كان جلد البقر الخام في المناطق ذات المناخ الجاف قادراً على تعويض عدم وجود أجزاء معدنية في تصنيع الأجهزة التقنية مثل العجلات الخشبية...، ولكن أيضاً خلال فترة ما قبل التاريخ في صناعة العربات التي تجرها الخيول عند شعوب الكارامانت وغيرهم من سكان الصحراء الوسطى والمغرب. لعب جلد البقر الخام على مر القرون، الدور التقني الذي يلعبه الحديد اليوم كمادة متعددة الاستخدامات»²⁷. يصعب القول بعدم استعمال المعادن في صناعة العربات بشمال إفريقيا، نظرا لوفرة المعطيات حول استعمال المعادن في المغرب وشمال إفريقيا خلال الفترات القديمة²⁸. وذلك من خلال تعدد اللوحات الصخرية الخاصة بالأسلحة المعدنية، ووجود العديد من المناجم القديمة. وهذا لا يعني تنفيذ فكرة وجود العربة الخشبية، فربما كانت بداية ظهور العربة في شمال إفريقيا بالاعتماد على النوع الخشبي، ومع اكتشاف المعادن بدأ الانسان بتوظيفها في صناعة هذه العربات.

3. دور العربة في شمال إفريقيا خلال فترة ما قبل التاريخ:

أما في ما يرتبط بأدوار العربة في شمال إفريقيا، فقد تمت الإشارة إلى استعمالها كوسيلة حربية، وقد تجسد ذلك في بعض اللوحات الصخرية في كل من موقع تاسيلي نجار وواد جرات بالجزائر... إلخ.²⁹، ويعتبر كل من هيرودوت (Hérodote) وهنري لوط³⁰ وتورك³¹ من أبرز المدافعين عن استعمال هذه العربات في المجال

²⁴-A.Rodrigue, Image gravées du maroc..., 2006, P : 166.

²⁵-المحفوظ اسمهر، نفس المرجع السابق، ص: 206.

²⁶-المحفوظ اسمهر، نفس المرجع، ص: 207.

²⁷- M. Gast, « Cuir et peaux », in Gabriel Camps (dir.), 14, 1994, p. 5.

²⁸-عفراء الخطيب، مصطفى أعشي، المناجم والمعادن بين المغرب وغرب إفريقيا خلال العصور القديمة، الصحراء الكبرى مجال للاتصال والتفاعل في العصور القديمة، سلسلة: ندوات ومحاضرات اشراف وتنسيق عفراء علي الخطيب، منشورات معهد الدراسات الافريقية -جامعة محمد الخامس الرباط 2002، ص: 37.

²⁹-المحفوظ اسمهر، نفس المرجع السابق، ص: 232.

³⁰-H.Lhote, Les chars rupestres sahariens..., 1982, P : 108.

العسكري. وقد أشار هيردوت إلى ذلك قائلا: «بطارد هؤلاء الجرمانيون على عرباتهم ذات الخيول الأربعة، الإثيوبيين التروكلوديت[الذين يسكنون الكهوف]الذين يتميزون بالجري السريع لا يضاهيهم في ذلك أي من الأقوام المعروفة»³². في حين رفض سبرويت فكرة كون العرب استعملت في المجال العسكري في شمال إفريقيا، مستنداً في ذلك إلى كون العربات الحربية، كان يركبها شخصان على الأقل: السائق والشخص الذي يرمي النبال³³. عكس العربات الصحراوية التي لا يركبها شخصان، ما يؤكد أنها كانت تستعمل لأغراض سلمية³⁴. وقد ساندته في ذلك كامبس، الذي لا يستبعد أن تكون العرب وسيلة لنقل المحاربين إلى ساحة المعركة، لينزلوا للمحاربة مشاة كما كان يفعل الإغريق، أي أنهم لم يحاربوا وهم راكبين على هذه العربات³⁵. وهذا ما يرفضه المحفوظ اسمهر حين قال: «صحيح أن العربات الصحراوية غالباً ما نجد بها السائق وحده، لكن نجده في كثير من الأحيان مسلحاً بنوع من السلاح. فلماذا يصلح هذا السلاح إذا لم يكن يفيد في الحرب أو القنص»³⁶. رغم أن العديد من المصادر التاريخية القديمة تحدثت عن استعمال سكان شمال إفريقيا للعربات في المجال العسكري³⁷، إلا أن قلة المعطيات الأثرية ساهم في عدم الحسم في هذا النقاش. خصوصاً أن هذا الرأي ارتبط بنسبة قليلة من اللوحات المرسومة، التي تنتشر في بعض المواقع المحدودة بالصحراء الجزائرية مثل تاسيلي نجار... وغيرها. في حين تنتشر لوحات هذه العربات بشكل كبير في مواقع النقوش الصخرية، وغالباً ما تنقش بشكل منفرد ولا تكون مقرونة بالحيوان، وإن وجدت بعض الاستثناءات، فغالباً ما يكون هذا الحيوان من الثيران وليس من الخيول. وهذا ما أشار إليه ألان رودريغ قائلاً: «...النوع الثاني من العربات، على الرغم من أنه مشابه من جميع النواحي لعربة تاسيلي، على الأقل في تطورها، يقتصر على شريط من الأراضي الصحراوية يمتد من جنوب وهران إلى موريتانيا. ولم تظهر أي من هذه العربات مقرونة بالخيول، وغالبيتها العظمى من النوع المنقوش (مع وجود اكتشاف جديد للعربات المرسومة بالصباغة في جنوب المغربي)»³⁸. ويصنف العديد من الباحثين هذا النوع من العربات المقرونة بالثيران، بالعربات ذات الأغراض السلمية. لا لشيء سوى لكون الثور غير ملائم للقيام بعملية القنص أو الحرب³⁹، لكونه سريع العياء ما جعل عرباته تخصص لنقل الأمتعة⁴⁰. ويقول

³¹-A.Turcat, Sur l'origine des chars..., 1984, P : 118.

³²مصطفى أعشي، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الآمازيغ)، ترجمة وتعليق وشرح، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2009، ص: 62.

³³-J.Spruytte, Attelages antiques libyens..., 1996, P : 68-69.

³⁴-Ibid, P : 118

³⁵-G.Camps, Le cheval et le char dans la Préhistoire..., 1982, p : 18.

³⁶-المحفوظ اسمهر، نفس المرجع السابق، ص: 235.

³⁷-للمزيد من المعلومات يمكن مراجعة أطروحة الباحث المحفوظ اسمهر، نفس المرجع السابق، ص: 232.

³⁸-A.Rodrigue, Image gravées du maroc..., 2006, P : 166.

³⁹-المحفوظ اسمهر، نفس المرجع السابق، ص: 240.

كامبس في هذا الصدد: «يجعلنا السير البطيء الذي يتميز به الثور نعتقد أن العربات التي تجرها الثيران استعملت في التنقلات الهادئة وفي التنزه»⁴¹. ومن المحتمل أن تكون هذه العربات قد استعملت لنقل الأشياء الثقيلة، وذلك بالاعتماد على القوة البدنية للثور القادرة على تحمل الأثقال⁴². وهذا ما أشار إليه الباحث موني، حين اعتبر العربات في غرب شمال إفريقيا استعملت لنقل المواد الثقيلة، خصوصا المعادن. ورجح أن تكون هذه العربات وسيلة لنقل هذا المعدن من الجنوب المغربي إلى بعض المناطق الساحلية، لكون وسائل الملاحة في ذلك الوقت لا تسمح بتجاوز رأس بوجدور⁴³. في حين اعتقد كامبس بأن العربات الصحراوية تظهر وكأنها خفيفة، وبالتالي يستبعد أن تكون قد استعملت في نقل المعادن، دون أن يعمم ذلك على كل العربات⁴⁴.

4. العربات في الحوض العلوي لواد صياد من خلال النقوش الصخرية:

يشكل الحوض العلوي لواد صياد منطقة انتقالية بين السفوح الجنوبية لسلسلة جبال الأطلس الصغير والمناطق الصحراوية المغربية، ما جعل منه منطقة استقرار مهمة للإنسان منذ القدم. وقد تجلّى ذلك في حجم المواقع الأثرية التي تزخر بها المنطقة من بينها العشرات من مواقع النقوش الصخرية، التي تتميز بوجود نسبة مهمة من اللوحات المنقوشة الخاصة بالعربات، ويعد هذا الحوض من أبرز مواقع وجود العربات في المغرب بعد موقع أدرار أوفيلال بمنطقة الطاوس الذي توجد به منتان وسبعة عشر (217) لوحة لموضوع العربات⁴⁵. وقد برزت أهمية حوض واد صياد، بعد اكتشاف ريكارد وولف (Richard Wolff) سنة 1976، لما يقارب اثنين وعشرون (22) لوحة للعربة منتشرة على طول ضفاف أودية هذا الحوض⁴⁶. وفي سنة 2004 تمكن ألان رودريغ من اكتشاف لوحتين لموضوع العربة في موقع وَرْزُونْت⁴⁷. كما أصدر مقالا سنة 2009 بمعية الباحث إيف كوتيي تحدث فيه عن اكتشاف اثنين وثلاثون (32) لوحة للعربات بموقع بُولْفَاس بمنطقة أمتضي⁴⁸. وفي سنة 2010 أشار إلى أربعة عشرة (14) لوحة بعدة مواقع في منطقة تغجيجت منها: 4 لوحات بموقع أَدْرَارْ نْ زَرْزَمْ، و 7 لوحات في موقع

⁴⁰-H.Lhote, 1953, p. 1161.

⁴¹-G.Camps, 1989, p. 36.

⁴²-H.Lhote, 1982, p. 156.

⁴³-R.Mauny, 1947, p. 341-357.

⁴⁴-G.Camps, 1974, p. 346.

⁴⁵-A.Rodrigue, 2008, p. 7-17.

-A.Bravin, 2011, p.4.

⁴⁶-R.Wolff, 1976, p 53.

⁴⁷-A.Rodrigue, L.Bouffi, M.Amarir, 2004, p. 181-186.

⁴⁸-A.Rodrigue, Y.Gauthier, 2009, p. 93-100.

تُورِيرِيْنُ نْ وَاعْرَابْ (إِدْ مِي سَانْ)، و3 بموقع أَدْرَارْ نْ تُرْسَلْتُ⁴⁹. غالبية هذه اللوحات أشار إليها الباحث ريكارد وولف سابقاً، ولم يصف لها ألان رودريغ إلا أربعة لوحات جديدة.

وفي إطار تحرياتها الميدانية بالحوض العلوي لواد صياد، تمكننا من إحصاء نسبة جد مهمة من العربات، حيث وصل عددها إلى مائة وأربعة وثلاثين (134) لوحة تتوزع بشكل متفاوت على أزيد من ثلاثة وعشرين (23) موقعا (أنظر المبيان رقم 01). ويعتبر موقع بُولْفَاسْ أكبر موقع تتركز فيه نسبة كبيرة من لوحات العربية، حيث أحصينا فيه ما يزيد عن ثلاثة وستين (63) لوحة. وتمثل نسبة اللوحات التي تم إحصاءها ضمن مجموع اللوحات المنقوشة بالحوض العلوي لواد صياد ما يقارب % 47,3. ومن الناحية التقنية، فأغلب هذه اللوحات أنجزت بتقنية النقر وبأسلوب اختزالي.

أما على مستوى الشكل فالعربات المنقوشة بالحوض العلوي لواد صياد لا تختلف تماما عن باقي العربات المنقوشة في مواقع النقوش الصخرية المغربية، رغم وجود بعض الاختلافات في بعض التفاصيل. وهذا ما أشار إليه ريكارد وولف في وصفه لعربات حوض واد صياد، حيث صنفها ضمن العربات الاختزالية ذات العجلتين، وذات المجر أو العريش المنفرد، باستثناء لوحة واحدة تم العثور عليها في موقع أَدْرَارْ نْ زَرْزَمْ لها مجران بهما قضبان عرضيان. ويتميز هذا المجر بكونه يتجاوز في بعض الأحيان المقرن، ويكون منحنيا في أحيان أخرى على شكل نصف دائرة، كما له جانبا يظهر على شكل حافر الحصان (الصور). وفيما يتعلق بالعجلات، فنادرا ما تكون دولبية أو شعاعية، وإن وجدت نماذج منها فإنها لا تكون متطابقة. أما بخصوص المصطبة فهي في الغالب تكون مدعومة بالعجلات، وتوجد خلفها بعض الأشكال الزائدة وهذا النوع يوجد كذلك في عربات الأطلس الكبير (جبل الرأت) والصحراء⁵⁰.

أما ألان رودريغ فاعتبر صورة العربات في موقع بُولْفَاسْ نمطية، رغم أنه يمكن التمييز بين عدة أنواع منها: كالعربات البسيطة المختزلة في دائرتين (العجلات)، هذه الأخيرة التي ترتبط بواسطة محور، ويظهر فيها المجر أو العريش (Timon) عموديا على المحور وينتهي بقضيب المقرن (Joug)، الذي يتخذ شكل حرف T أو حرف U أو على شكل قوس مزدوج. وفي بعض اللوحات يكون محذوفا (الصور: 12، 11، 8، 7، 13). بالرغم من كون هذا النوع من العربات يظهر أكثر اختزالا إلا أنه يشمل كل العناصر الأساسية للعربة، التي تسمح لنا بأن نعتبر هذه اللوحات أشكالا خاصة بالعربات. وفيما يخص النوع الثاني فقد تجسد في عشر

⁴⁹-A.Rodrigue, 2010, p. 146.

⁵⁰-R.Wolff, 1978-1979, p. 188.

لوحات، ويتميز بوجود جزء من المصطبة أمام محور العجلات (essieu) والجزء الآخر الموجود في قسمها الخلفي⁵¹.

وفيما يتصل بالنوع الثالث من هذه العربات فيتميز بوجود العجلات الشعاعية أو الدولية، وقد لوحظ ذلك في ثلاث لوحات (الصورة 11 و12). أما النوع الرابع فيرتبط بالعربات المزدوجة، حيث يوجد بموقع بُولْفَاسْ نمودجان لعربات ملتصقة أطلق عليها اسم "train de chars" (الصورة 10)⁵².

نلاحظ أن جميع العربات التي اكتشفناها في إطار تحرياتها الميدانية، تتوافق من الناحية الشكلية مع الملاحظات التي قدمها كل من الباحث ريكارد وولف وألان رودريغ، حيث يوجد تشابه كبير بين غالبية العربات. وقد سجلنا حضور عربة ذات مجريين في موقع بُولْفَاسْ لتصبح الثانية بعد العربة التي أشار إليه ريكارد وولف في موقع أَدْرَارْ نْ زَرْزَمْ (الصورة 9)

ومن الناحية الوظيفية، يصعب معرفة الأدوار التي كانت تقوم بها هذه العربات في الحوض العلوي لواد صياد. لكن من خلال بعض الملاحظات يتضح أن هذه العربات كانت ذات أدوار سلمية، وتستغل في التنقلات اليومية وحمل الأثقال. ومن بين المؤشرات الدالة على ذلك أولا وجود بعض اللوحات التي تظهر ارتباط العربة بدرجة كبيرة بالبقريات أو الثيران. وقد سبق للباحث ريكارد وولف أن أشار إلى وجود ثلاث لوحات ترتبط فيها العربات ببعض البقريات، واحدة بموقع أَدْرَارْ نْ زَرْزَمْ، والثانية بأَدْرَارْ نْ تَرْسَلْتْ، والثالثة بموقع تَفْلَيْتْ نْ دَحْمَادْ⁵³. وقد تحدث آلان رودريغ العربات العادية ذات المجر الواحد ترتبط بالثيران، وأعطى مثالا عن ذلك في اللوحة الأولى والثانية التي أشار إليهما وولف⁵⁴. كما عثر بموقع بُولْفَاسْ على لوحة أخرى لعربة يجرها حيوانان يتضح من خلال شكليهما أنهما من البقريات⁵⁵.

وفي إطار التحريات التي قمنا بها عثرنا على لوحات أخرى ترتبط فيها العربة بالبقريات، من بينها اللوحة التي توجد بموقع مَنْتَرْكَارْتْ بأَدْرَارْ أَوْمَاوُونْ والتي يظهر فيها ثور أو بقرة يجز عربة ذات مجريين ترتبط بهذا الحيوان عبر حبل يمر من تحت رأسه (الصورة 1 و2). وفي موقع أَكْجَكَالْ عربة يجرها ثوران تسير أمامهما نعامة يربطها بهذين الأخيرين حبل كأنها تجر معهما هذه العربة (الصورة 3 و4). كما توجد نماذج أخرى في كل من موقع إِفْرِي نْ قَرْطُطُو (الصورة 5 و6) وموقع أَمَزَرْكِي.. وغيرها. إن حضور الثور في جر العربة عوض الخيل جعلنا نعتقد، أن هذه العربات هي خاصة بالتنقلات اليومية وحمل الأثقال. وما دفعنا إلى هذا الاعتقاد كون جل هذه العربات، تتركز في المواقع التي تطل على بعض

⁵¹-A.Rodrigue, Y.Gauthier, La station à chars de Boulakouass..., 2009, P : 93.

⁵²-Ibid, P : 94.

⁵³-R. Wolff, Chars Schématiques ..., 1976, P : 53-69.

⁵⁴-A.Rodrigue, Le Domaine Rupestre..., 2010, P : 169.

⁵⁵-A.Rodrigue, Y.Gauthier, La station à chars de Boulakouass..., 2009, P : 94.

المنخفضات الأساسية التي شكلت فضاء مهما للسكن، يمتد من منخفض أَمَاوُونُ حتى واحة تَيْنَزْرَتْ. هذا المجال الذي يعج بالمخلفات الأثرية من خزف، وأدوات حجرية، وبعض بقايا المعادن، والعديد من الأفران وورشات كثيرة للصناعة الحجرية...، ربما كانت هذه المواد تنقل بواسطة هذه العربات من منطقة إلى أخرى، لأن هذا الكم الهائل من الأحجار لا يمكن للإنسان أن يحملها على ظهره.

إن تركيز نسبة كبيرة من عربات حوض واد صياد العلوي (تقريبا ثلاثة وستون 63 عربة) في موقع بُولْقُوَاسْ، الذي يوجد في منطقة جبلية صعبة الولوج، أثار تساؤلات كثيرة حول سبب وجود هذا العدد الكبير من العربات بهذا الموقع. ومن خلال ملاحظتنا الميدانية داخل فضاء هذا الموقع، تبين لنا تركيز جل العربات المنقوشة في رقعة جغرافية مرتفعة ومحددة من الوادي. هذه الأخيرة يقابلها في الجهة الشمالية منجم قديم يدعى تَوْرِيْرَتْ وَنَاسْ أي ربوة النحاس. وهذا ما دفعنا إلى الاستنتاج بأن الإنسان الذي نقش تلك العربات كان يراقب تحركاتها عبر هذا المنجم، وهذا ما يمكن ملاحظته من الصور (الصورة رقم 14)، حيث كلما ابتعدنا عن الموقع يتوارى المنجم عن الأنظار. وبالتالي فإنه من الممكن أن يكون لهذه العربات دور أساسي في نقل تلك المعادن إلى مناطق أخرى، خصوصا أن هناك طريقاً غير معبدة تربط بين هذا المنجم بمنخفض تَكْجَاكَلْتْ جنوباً، كما تتجه شمالاً في نحو عالية واد تَمَنَارْتْ، ما يركي الفكرة التي طرحها الباحث موني حول دور العربة في نقل المعادن.⁵⁶

خلاصة:

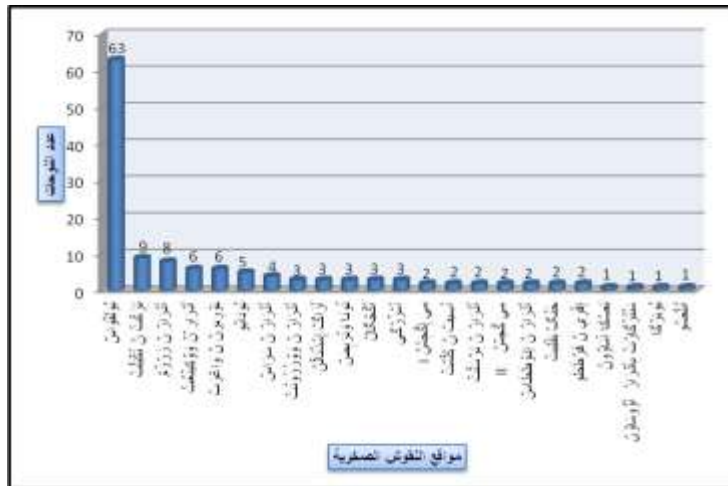
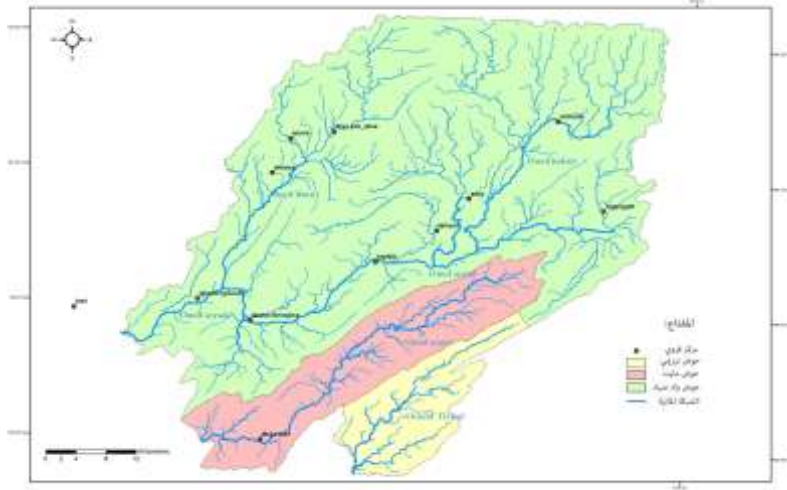
يظهر من هذه القراءة أن العربات في الحوض العلوي لواد صياد لم تكن عربات حربية ولا عربات للصيد، لكنها كانت تستعمل في التنقلات اليومية داخل فضاء حوض واد صياد. ومن الممكن أن يكون لهذه العربات كذلك دور في التنقلات إلى خارج هذا المجال، حيث لاحظنا وجود نماذج من هذه اللوحات في بعض الفجاج التي تربط حوض واد صياد العلوي بأحواض أخرى، على سبيل المثال حوض وركنون، وحوض تَزِمِي، وحوض تَمَنَارْتْ... وغيرها. هذا الانفتاح على هذه المجالات يدعم فكرة وجود تلاقح حضاري بين المجموعات البشرية الموجودة على ضفاف حوض واد صياد ومجموعات بشرية أخرى استوطنت تلك المجالات. وقد تجسد هذا التلاقح في العديد من المخلفات الأثرية مثل التشابه في التقنيات والأساليب المعتمدة في الفن الصخري وكذلك في بعض تقنيات الدفن.

إن ارتباط هذه العربات بالثيران أو البقر في العديد من اللوحات المنقوشة بالحوض العلوي لواد صياد، يؤكد بأن ظهورها في المنطقة كان قبل اعتماد الإنسان على الحصان والفرس. في نفس الوقت أظهر اكتشافنا لمظاهر التعدين في المنطقة من خلال الأسلحة المعدنية المنقوشة في عدة مواقع وكذلك وجود مواقع تضم بقايا

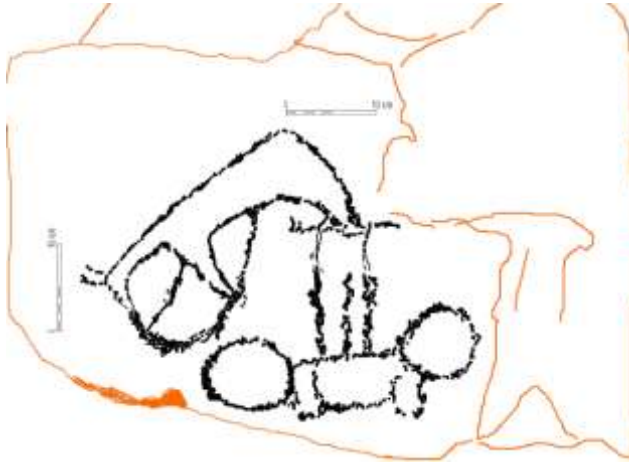
⁵⁶-R.Mauny, Une route préhistorique..., 1947, P : 341-357.

خبث المعادن، أن إنسان المنطقة ربما اعتمد على تلك المعادن في صنع أجزاء من هذه العربات. وهذا ما يزكيه وجود لوحات هذه الأخيرة في موقع بولقواس الذي يتميز بوعورة مسالك الطريقية الجبلية، وقربه من منجم النحاس "تُوريرْت وَنَاسْ". إن هذا الحجم الكبير من اللوحات المنقوشة للعربات في الحوض العلوي لواد صياد، يعكس تلك الحركية التي عرفتھا المنطقة من الناحية الديمغرافية والاقتصادية والثقافية خلال تلك العصور القديمة. لكن لازال هذا الموضوع بحاجة إلى المزيد من الأبحاث المعمقة لنفض الغبار عنه واكتشاف حقائق تاريخية أخرى. لذلك تبقى هذه الدراسة مساهمة بسيطة لوضع أرضية نقاش حول هذه الحقب التاريخية في المناطق الجنوبية للمغرب.

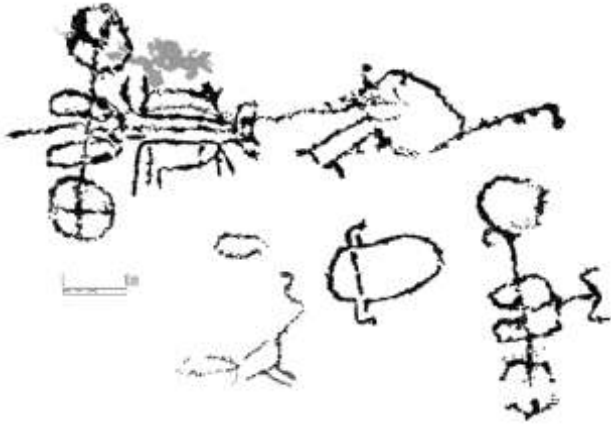
ملحق الصور والأشكال:



المبيان رقم 01: تمثيلات العربات في مواقع النقوش الصخرية بالحوض العلوي لواد صياد (المصدر: عمل ميداني)



الصورة رقم 2-1: ثور أو بقرة بجو عربة ذات مجرين (موقع
مَنْزَرَگَرْت)



الصورة رقم 3-4: لوحة لعريبتين بموقع أڭجڭال الاولى يجرها ثوران تسير أمامهما
نعامة، والثانية نقشت بشكل منفرد.



الصور رقم 5 و6: تظهر شكلا آدميا يركب فوق
ظهر احدى الحيوانات وخلفه عربة مجرورة.
(موقع أذرار ن سراس)



الصورة رقم 7: نموذج لعربة ذات:
مجر واحد ومقرن على شكل U وعجلات غير
شعاعية وولا تتوفر على مصطبة(موقع بولقواس)



الصورة رقم 8: نموذج لعربة ذات:
مجر واحد ومقرن على شكل U وعجلات غير
شعاعية ومصطبة نصف دائرية امامية(موقع بولقواس)



الصورة رقم 9: نموذج لعربة ذات:
مجرين ومقرن على شكل T وعجلات غير شعاعية ومصطبة امامية
(موقع بولقواس)



الصورة رقم 10: نموذج لعربة مزدوجة Train de chars :
(موقع بولقواس)



الصورة رقم 11: نموذج لعربة ذات:

عجلات شعاعية ومجر واحد ومقرن على شكل U وبدون مصطبة (موقع بولقواس).



الصورة رقم 12: نموذج لعربة ذات:

عجلات شعاعية ومجر واحد ومقرن على شكل U ومصطبة نصف دائرية أمامية (موقع بولقواس).



الصورة رقم 13: نموذج لعربة ذات:
عجلات غير شعاعية ومجر واحد ومقرن على شكل T وذات مصطبتين
أماميتين وشكلين زائدين في الخلف (موقع بولقواس).



الصورة رقم 14: منظر لمنجم "توريرت وناس" من موقع
بولقواس للنقوش الصخرية.

لائحة المراجع

- المراجع العربية:

- المحفوظ اسمهر، جوانب من حضارة شمال افريقيا القديم والصحراء من خلال النقوش والرسوم الصخرية، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ القديم، كلية الآداب بالرباط، 2003-2004 (مرفونة).
- عفراء الخطيب، مصطفى أعشي، المناجم والمعادن بين المغرب وغرب إفريقيا خلال العصور القديمة، الصحراء الكبرى مجال للاتصال والتفاعل في العصور القديمة، سلسلة: ندوات ومحاضرات اشراف وتنسيق عفراء علي الخطيب، منشورات معهد الدراسات الافريقية -جامعة محمد الخامس الرباط 2002.
- مصطفى أعشي، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، ترجمة وتعليق وشرح، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2009.
- هنري لوت، لوحات تاسيلي: قصة لوحات كهوف الصحراء الكبرى قبل التاريخ، تعريب أنيس زكي حسن، الطبعة الأولى، ليبيا، 1967.

- المراجع الأجنبية:

- Alain Rodrigue, « Le domaine rupestre de Taghjijt (Maroc) », In *Sahara Préhistoire et Histoire du Sahara*, n°21, 2010.
- Alain Rodrigue, *Images gravées du Maroc, Analyse et typologie*, Coll. Présence du Passé, Témara, Ed. Kalymat Babel, 2006.
- Alain Rodrigue, L. Bouffi, & M. Amarir, « La station rupestre de Wazzouzount (Région de Taghjijt, Maroc) », *Almogaren*, xxxv, 2004.
- Alain Rodrigue, « Les chars gravés du Jbel Aoufilal (Taouz, Maroc) », *Almogaren*, XXXIX, 2008.
- Alain Rodrigue, Y. Gauthier, « La station à chars de Boulakouass », *Société et Recherches Préhistoriques*, 58, 2009.
- Alessandra Bravin, « Deux gravures inédites de chars au tizi 'n tirghyst (jbel Rat, Haut-Atlas, Maroc), *INORA*, n° 59, 2011.
- André Turcat, « Sur l'origine des chars rupestres sahariens », in *T.I.A.P*, XXVI, Université Toulouse-le Mirail, 1984.

- Gabriel Camps, « Le cheval et le char dans la Préhistoire nord-africaine et saharienne », in *Les chars préhistoriques du Sahara*, Aix-en-Provence, 1982.
- Gabriel Camps, *Les Berbères, Mémoire et Identité*, Actes Sud, Collection Babel, 2007.
- Gabriel Camps, « Les chars sahariens », *Antiquités africaines*, n°25, 1989.
- Gabriel Camps, *Les Civilisations Préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Paris, Doin, Vol.1, 1974.
- **Henri Lhote**, « Le cheval et le chameau dans les peintures et gravures rupestres du Sahara », *Bulletin de l'Institut français d'Afrique noire*, Tome XV, No 3, 1953.
- **Henri Lhote**, *Les chars rupestres sahariens: des Syrtes au Niger, par le pays des Garamantes et des Atlantes*, Editions des Hespérides, Toulouse, 1982.
- Jean Spruytte, *Attelages antiques libyens, archéologie saharienne expérimentale*, Paris, 1996.
- Marceau Gast, « Cuirs et peaux », in Gabriel Camps (dir.), *Encyclopédie berbère*, n°14, Aix-en-Provence, Edisud.
- Raymond Mauny, « Une route préhistorique à travers le Sahara Occidental », *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire*, vol.9, 1947.
- Richard Wolff, « Chars schématiques de l'oued EçÇayyad », *Bulletin d'archéologie Marocaine*, X, 1976.
- Richard Wolff, "Rock Engravings Of The Upper Wadi Eç Çayyad (Southern Morocco)", *Almogaren*, IX-X, 1978-1979.